الانتفاضة والعمّال

كما هو ملاحظ من طبيعة التطورات في الضفة والقطاع، ومن دور العمال في التصدي للاحتلال وسياسته، فان الانتفاضة جاءت باعتبارها تتويجاً لجملة النشاطات الجماهيرية التي سبقت كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، والتي لعب العمّال فيها وحركتهم النقابية دوراً لا يقلّ أهمية عن دور بقية الفئات الشعبية.

جاءت انطلاقة الانتفاضة بعد اجتياح شاحنة صهيونية لسيارة ركاب على حاجز اسرائيلي في غزة، بتاريخ ٨/١٢/١٩٨٩؛ وقتل، نتيجة ذلك، أربعة من العمّال الفلسطينيين العائدين من أعمالهم في المناطق المحتلة العام ١٩٤٨، ممّا أدّى الى اندلاع التظاهرات الشعبية في جباليا، وهي منطقة تضمّ غالبية عمالية؛ ثمّ انتقلت التظاهرات الى مخيمات القطاع، وفيها نصف عدد العمال الذين يعملون في اسرائيل[١١].

لقد مدت تظاهرات جباليا ثمّ مخيمات القطاع ظلالها الى انحاء القطاع والضفة كافة، مدناً وقرى ومخيمات. وفي هذه المناطق، كانت أماكن السكن العمالي، وبخاصة مخيمات القطاع وقرى الضفة والاحياء الشعبية في المدن، ميادين المواجهة الاساسية بين جماهير الانتفاضة وآلة القمع الاسرائيلي، التي تحرّكت، على عجل، لقمع الانتفاضة الفلسطينية طبقاً للاوهام التي يعتقد بها القادة الصهيونيون.

ان أداء العمّال في الانتفاضة ودورهم فيها متعدد الاتجاه، ومتشعّب بشكل لا يمكن حصره. ولكن يمكن تحديد أهم ملامحه ومفاصله في ما يلي:

- الامتناع عن الذهاب الى العمل في المستوطنات والمشاريع الاسرائيلية في الضفة والقطاع، وهو امر بدأ مع انطلاقة الانتفاضة، ثمّ تجذّر بعد نداءات القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة الى عمّال الضفة والقطاع للاستمرار في موقفهم هذا[١٢].

- التوقف عن الذهاب الى العمل في سوق العمل الاسرائيلي في المناطق المحتلة العام ١٩٤٨. وفي هذا المجال، يمكن ملاحظة حالتين: الاولى، هي الامتناع عن الذهاب الى هناك في أيام الاضراب العام، وهي حالة غالباً ما تشمل كل العاملين هناك وعددهم نحو ١٢٠ ألفاً من عمال الضفة والقطاع؛ والحالة الثانية تتمثل في التوقف الجزئي عن الذهاب الى العمل، ووصلت نسبة المتخلفين عن الذهاب الى العمل نحو ٤٠ بالمئة[١٣]. وفي هذا المجال ـ كما في النقطة السابقة ـ فان المبادرات العمالية، تكرّست في نداءات القيادة الموحدة للانتفاضة، التي اضافت الى ذلك حثّ العمال الفلسطينيين العاملين في مناطق ١٩٤٨ المحتلة على البحث عن فرص عمل بديلة في الضفة والقطاع[١٤].

- الانخراط في عملية استنهاض الاقتصاد الفلسطيني، ومحاولة اعماره في القطاعين، الزراعي والصناعي، وفي ميدان الخدمات والمرافق. وفي الميدان الزراعي، تجسّدت المساهمة العمالية في مشاركة عشرات الالوف من العمال في استصلاح وزرع الاراضي الزراعية المتروكة، أو تلك المساحات التابعة الى المنازل، أو القريبة منها، في الريف، وزراعة الحدائق في المدن، بما في ذلك حدائق المنازل، التي أطلق عليها اسم «حدائق النصر». وفي هذا، تمّت عملية احياء تربية الحيوانات المنزلية، كالدجاج والارانب والحمام؛ وفي حالات أخرى بدأت عملية تربية الابقار؛ واحتاجت هذه الاعمال، كما غيرها، الى أيدي عاملة، بعضها كان يعمل في سوق العمل الاسرائيلي[١٥]. وفي الميدان الصناعي، لم يكن الامر بأهمية أقل. فقد اندفع آلاف العمال الى تشغيل المؤسسات الصناعية، على قلّتها، والحرفية